ستديو ثقافة شعبية

(أشباح الفودو) رسمها اندريه بيير سنة ١٩٧٧م تمثل مجموعة من الآلهة الأفريقية الودودة منها والعبوسة. وقد أبرز الرسام رموزها والألوان التي تحبها.

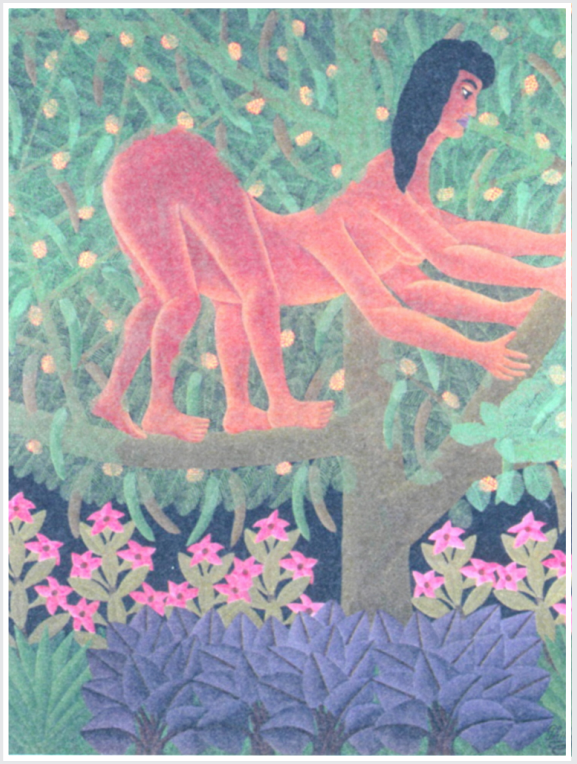

المرأة باعتبارها مصاصة للدماء. لوحة رسمها سنة ١٩٧٤م (سالناف فيليب) ومنحها أربع أذرع وأربع أرجل. فلا يفلت من عناقها أحد.

(بابا زاكا) إله الزراعة جائع على الدوام. والفلاحون الهاييتيون يملأون له صحاف الطعام وينتظرون منه أن يهبهم غلة جديدة. رسم هذه اللوحة سنة ١٩٦٩م (جيرارد فالسين).

استقـــراء الغيـــب وكـــشف المـــستقـــبل

٢-٢

محمد علي محيي الدين

طرق اخرى

وهناك طرق كثيرة للاستخارة ،أختص البعض بممارستها،وأخرى يمارسها الناس دون الاستعانة بوسيط،وتمارس في البيع والشراء والسفر والزواج والأعمال الأخرى التي تستدعي الاستخارة، ومن الجدير بالذكر أن المحترفين لهذا العمل يتقاضون مبالغ من المال تتفاوت في قيمتها حسب نوعية العمل المطلوب،وتصل في أحايين إلى مبالغ طائلة تثقل كاهل الإنسان،خصوصا في بعض الحالات التي تتطلب القيام بأعمال سحرية،أو وصفات لطرد الجن،وأبطال السحر.

وفيما يلي بعض الطرق التي يلجأ إليها المنجمون والفوالون والمستخيرون:

١- القرآن الكريم: وتسمى (خيرة القرآن)ويمارسها رجال الدين أو المحسوبون عليهم، ممن هم على شيء من العلم الديني وادعاء الزهد، لذا نرى الكثيرين منهم وقد ارتدى عمته، ونشر سجادته،ومسد لحيته،وأمسك مسبحته،وزينت أصابعه المحابس الملونة،واقتعد مكانا في أحد الأضرحة المقدسة أو المزارات،أو زاوية من سوق، وهو يبسمل ويحوقل بانتظار من يأتيه للاستخارة، ومن النساء تمارسها الملالي والعدادات والكشافات اللواتي يجيدن قراءة المآتم وحفلات الزواج،ويمارسن بعض أعمال السحر، تقصدهن النساء من كل فج للاستخارة، ومعرفة المخبأت، وطريقة أخذ الخيرة، أن يلمس طالبها القرآن الكريم بيده اليمنى، ويضمر في قلبه ما يريد وتسمى(النية) ويقوم رجل الدين بترديد كلمات بصوت خافت لا يسمعه الشخص المستخير فيقول مثلا(توكلت على الله العزيز الحكيم،اللهم أجعل اليمن فيما أردت أنك أنت السميع العليم) أو غيره من الأدعية المأثورة،ثم يفتح القرآن من مكان ما، لتخرج السورة المكتوبة،فيترك بعض الأسطر، ويقرأ الآية التي يراها مناسبة لنوع الحاجة التي يطلبها المستخير،فمثلا إذا كانت سورة يوسف، ففيها منجاة من خطر عظيم،وصاحبها موفق يحالفه النجاح، وإذا كانت مبشرة بعذاب، أو تشير إلى تهلكة، فهي غير جيدة وتنذر بشر كبير،وإذا كانت (سيرزقكم الله وهو خير الرازقين) فهي توسعة للرزق،إلى غير ذلك من الآيات الموحية المعبرة عن مناحي الحياة المختلفة،ومنها يستطيع المستكشف الاستدلال على النهي والمنع،أو الموافقة والقبول. ومما هو جدير بالإشارة أن رجل الدين،يسأل المستخير عن كنه طلبه بصورة عامة، أن كان على سفر، أو شراء، أو رزق، أو غائباً، أو سجيناً، حتى يكون على بينة من أمره عند الاستخارة،وتكون أجابته في صميم الهدف.

٢- المسبحة: ويعمد آخرون إلى الاستخارة بالمسبحة،التي تكون حباتها (١٠١)لنفسه أو لغيره، والكثير من الناس يستطيعون أخذ الخيرة دون وسيط،وهذه الخيرة يمارسها رجال الدين،أو من كان على شيء من التقوى والتدين، وطريقتها أن يمسك من يريد الاستخارة بوسط المسبحة،ويذكر حاجته، أو ما ينوي فعله، ثم يقوم بقراءة البسملة، ويبدأ بعمله،وهناك طرق عدة منها:

أ - يمسك المسبحة بيديه الاثنتين، ثم يقوم بفرز كمية من الخرز،ويبدأ بأفرادها من كل جانب للخرز المحجوز بين إصبعيه ويقول إذا كانت من اليمين (نعم)، ويأخذ أخرى من اليسار ويقول (لا) وإذا جاءت آخر خرزة بكلمة(لا) ففيها النهي عن القيام بالعمل(موزينه) وإذا جاءت (نعم) فهي جيدة(زينه).

ب - وهناك من يردد مع الخرزة الأولى (الله) والثانية(محمد) والثالثة(علي) والرابعة (أبو جهل)ويعيد الكرة مرات حتى نهاية المسبحة،فإذا جاءت الخرزة الأخيرة عند ترديد لفظ الجلالة أو الرسول الكريم أو الأمام علي فهي جيدة،وأن جاءت بترديد أسم (أبو جهل) كانت غير جيدة(موزينه) وعليك عدم العمل بما أردت القيام به.

ج . يقوم بفرز خرزتين من الجهة اليمنى، واثنتين من الجهة اليسرى، وعندما يصل إلى النهاية من الجانبين فاذا انتهى فرز الخرز بدون باقٍ، كانت الخيرة(زينه) جيده،أما إذا بقيت اثنتان فأنها (محيرة) أي لا يعرف أهي جيدة أم لا، أما إذا بقيت واحدة فأنها غير جيدة.

٣- خيرة الصادق:ويوجد كتيب صغير مطبوع في المطابع التجارية يسمى خيرة الصادق ينسب إلى الإمام جعفر الصادق الذي ينسب إليه المذهب الجعفري،مقاس أوراقه١٠×٨ سم لا تزيد صفحاته على الستين،في كل صفحة كلمة أو أكثر كتبت بخط كبير،منه ناهية زاجرة، وأخرى آمرة مبشرة،وكلمات بين الأثنين تعني (مخير) أي لطالب الخيرة العمل بها أو النكول عنها،وفيها كلمات فارسية بذات المعنى،منها على ما أتذكر كلمة (خوب)،وكانت رائجة في الخمسينيات يستعملها الكثير من الناس،وطبعت طبعات شعبية عديدة،وقد بطل استعمالها بعد انتشار الوعي،وتوسع المدارك الثقافية للمواطن.

٤. الطشة:وتمارس هذا النوع من الخيرة الغجريات(الكاولية)،أو كاولية العجم ،حيث يقتعدن الأرصفة أو الأزقة،أو يتجولن في الحارات الشعبية،وينادين للإعلان عن أنفسهن،فتجتمع حولهن النساء للاستخارة،وطريقتها،تقوم الغجرية برمي كمية من المحار والأحجار الملونة والخزف ذي الألوان المتباينة،وحصى مختلف الأشكال والأحجام يسمى(خرز) وأشياء أخرى لا تخرج عن هذه الأنواع تسمى (طشه) وعندما تأتي المرأة للاستخارة تدفع لها قطعة نقود معدنية لا تتجاوز أيامها (العشرة فلوس) وتنوي في داخلها ما تريد،وتقوم الغجرية بطش الخرز أمامها ،وتبدأ الكلام بلباقة عجيبة تخالطها لكنة محببة وكلمات مسجوعة ذات معان توحي لمن يسمعها بما في قلبه،وأمور عامة يتعرض لها الإنسان،بحيث تقتنع المرأة بما تقول، وقد لاحظت أن القائمات بالاستخارة لهن القدرة على استشفاف ما تريده صاحبة الاستخارة من خلال كلامها،وهو في التعبير الدارج(تبوگ لسانها) وأن ما تقوله هاتيك النسوة لا يعدو كلاماً عاماً تتعرض له الأسر العراقية،ولا يمكن أن تخلو منه أسرة،لذلك تتصور المستخيرة أن ما تقوله لها هو محض الصواب.

٥. فتاح الفأل: والفأل مأخوذ من الفأل، وفتاح لأنه يفتح الكتاب ويقرأ ما فيه،وكان القائمون بذلك من الجاليات غير العربية من الترك أو الفرس، الذين يتوافدون إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة،ولكنهم يجعلونها تجارة وزيارة،ويجمعون من الأموال الشيء الكثير ،وربما راق لهم الاستقرار في العراق، ولا يزال الكثيرون منهم في العراق وأصبحوا تجارا ورجال أعمال ومن الشخصيات الاجتماعية التي لها المكانة المرموقة في المجتمع، وقد تناسوا انحدارهم القومي ،وأصبحوا أكثر عروبة من العرب أنفسهم. وكان هؤلاء يتجولون في الأزقة والحارات الشعبية،وينادون كما ينادي البائع على بضاعته (فوال... فوال) أو (فتاح فال ..عداد نجم) ويظل يردد نداءه حتى تناديه أحدى النساء وتطلب منه معرفة الفأل،وقراءة ما سجل في لوح المقدور.

وعندما تناديه أحدى النساء،يقتعد جانبا من الطريق،ويأخذ أجرته مقدما،ثم يفتح الكتاب ويقرأ (أو لا يقرأ) لها بكلام منمق ولكنة أعجمية ممزوجة بكلمات فارسية،يشير خلالها إلى أمور عامة لا تخلو منها أسرة من الأسر،فيقول لها مثلا:أن هناك من يكيد لك،ويضمر السوء وهي امرأة ترتدي عباءة سوداء،وعصابة وثوبا أحمر ..الخ، فيخالطها الشك بإحدى جاراتها،أو أقاربها،فتصادق على قوله وتطلب منه عمل السحر المضاد الذي يبطل عمل عدوتها، أو سحر آخر يؤذي عدوتها، فيأخذ منها مبلغا كبيرا من المال،ويعطيها أوراقا مكتوبة يرشدها لطريقة استعمالها،فتحرقها وتتبخر بها،أو تنقعها بالماء وتغتسل بها،أو يرش الماء في الدار إلى غير ذلك من الطرق المتعارف عليها لدى هؤلاء.

ويقول لأخرى "أن زوجك يخدعك،ويروم الزواج من ثانية" وأي من النساء لا تصدق ذلك،بعد أن تتزاحم في مخيلتها كل السلبيات التي صدرت عن زوجها،والتي يمكن ربطها بالإهمال والنبذ والتهميش،وترضخ لهذه الخزعبلات والأكاذيب، وأذا كانت على خلاف معه يكون الأمر أدعى للتصديق،فتطلب منه العمل الناجح لخلاصها من هذه المشكلة،فيكتب لها حجابا، أو يعمل لها عملا،ويأخذ منها الأجر الباهظ ،ولا يعطيها غير السراب.وكثيرا ما أدت هذه الخيرة إلى مشاكل يصعب حلها،وخلافات عائلية قد تؤدي إلى الطلاق،أو حدوث النفور الدائم بين الأهل والأقارب والجيران.

طرائف وحكايات

ومن الطرائف المستملحة حول فتاحي الفأل، قيل أن امرأة لجأت إلى أحدهم لقراءة طالعها، وقد أخبرها أنها على خلاف مع زوجها الذي هجرها ولا يعود إليها،وقد أصاب في قوله كبد الحقيقة،فطلبت منه عملا يجعل زوجها يترك زوجته الثانية،ويعود صاغرا ذليلا، فطلب منها مبلغا من المال،وديكا أبيض اللون، وسيعمل من جانبه عملا يجعل زوجها أطوع من بنانها، فأعطته ما طلب،وعمل لها ما أرادت،وقال لها لن يمر أسبوع ألا وزوجك عائد أليك،وأخذت المسكينة تعد الأيام والليالي، حتى مضى الأجل المضروب، ولم يرجع زوجها، وذات يوم شاهدت ذلك الدجال،فأخبرته بعدم عودة زوجها لحد الآن، وان عمله لم يأت بالشيء المطلوب،فقال لها"آني أكلت الديج، أكر يجيج أكر ما يجيج"أي لقد أكلت الديك سواء عاد زوجك أم لم يعد.

٦- حجارة الدرب:وهي من أستخارات النساء التي ذهبت هذه الأيام ولم أسمع أن أحداهن عملت بها، وطريقتها،أن تجلس المرأة ليلة ألجمعه بعد آذان المغرب،في مفترق الطرق،وترمي أربعة أحجار ،كل حجر في طريق،وتجلس متلفعة بعباءتها ،مسدلة النقاب على وجهها،حتى لا يعرفها أحد،وتنوي في داخلها"يا حجارة البل درب،أنطيني على نية الكلب"وتجلس صامتة تنتظر مرور الناس،فأذا مر شخصان وتحدثا فيما بينهما بأمر ما ،تستشف من خلاله ما يوافق مرامها،على سبيل المثال،إذا كانت تستخير لزواج أبنها، وسمعت أحدهم يقول لصاحبه: لا هذا العمل السويته مو زين" فتكون الاستخارة، أن لا تقدم على تزويج أبنها،وإذا كان ما تحادث به الشخصان"والله هاي خوش أحچايه، سويها وآنه وياك"فهذا يعني الموافقة على الزواج. وعندما كنا شبابا،كنا نعابث هاتيك النسوة، عندما نراهن جالسات متلفعات وقد أخفين وجوههن خلف البراقع،فنردد أقوالا توحي بعدم القيام بهذا العمل،فتعود تلك المرأة إلى بيتها حزينة يائسة.

٧- الأحلام: ومن الأمور التي يتوسل بها البعض للاستخارة"الأحلام" فإذا كان مزمعا على عمل ما، وأراد الاستخارة،يغتسل ويصلي ركعتين بنية طلب الاستخارة، وينام في فراش نظيف،أو أحد الأضرحة والمساجد،فإذا حلم تلك الليلة، فأن تفسير حلمه هو حل المشكلة.

٨- قراءة الكف: وللكف قراءه المختصون، وقد رأيت أحدهم وقد ارتدى ملابس الأفندية، وعلى رأسه (سدارة) ويحمل دفترا كبيرا به شهادات لرجال دين كبار ملصقة في كل شهادة منها صورة ذلك الشخص،وبعضها من أدباء وشعراء مرموقين، ولا أعلم مبلغ صحتها وهل هذه الكلمات لهم أم أنها خديعة أرادوا بها استغفال الناس، وطريقة قراءة الكف يعرفها الكثيرون ، ومازالت متداولة في وسائل الأعلام،ويعتقد بها حتى من هم على درجة عالية من الثقافة،وتتعامل بها الشعوب الغربية والشرقية،تضاف اليها قراءة الفنجان المعروفة التي اختصت بها النساء المتعلمات ،أو الطبقة الأرستقراطية ، وهي مستوحاة من الشعوب الأخرى وليست عراقية صميمة،وأغنية قارئة الفنجان للفنان الراحل عبد الحليم حافظ،خير دليل على مدى تغلغلها وانتشارها. وهناك طرق أخرى لاستقراء الغيب ومعرفة المستقبل ربما تكون لنا عودة اليها في دراسة قادمة

خنجر عبود ابو كسوبه

المدى الثقافي

قرية الدورة مجموعة من البيوت الطينية واكواخ القصب وبعض خيام الرعاة المتنقلين والفجر.. تقع هذه القرية على الجانب الغربي من نهر دجلة والمواجه لجزيرة (ام الخنازير) الجميلة وهذه الجزيرة كانت تحوي العديد من النباتات والحيوانات البرية مثل الخنازير والذئب وابن أوى والافاعي والارانب وطائر الدراج واللقلق والزاغ والنوارس وابو الخضير وسارق الحناء والغراب والحمام بانواعه والعقعق والحداة والقبرة والزرزور وغير ذلك من حيوانات وطيور لا حصر لها كل صنف يأتي في موسمه واكثرها اختفى اليوم بسبب العطش والتجاوز على بعض اجزاء القرية!!.

كانت في تلك القرية شخصية غريبة تحمل طيبة اهالي الريف ومرحهم هذا الشخص (عبود ابو كسوبه) نسبة الى نبتة برية تدعى (الكسوب) يقال ان عبود طاردها ليلاً بخنجره بعد ان قلعتها ريح قوية في ليلة شتائية عاصفة وسط قبور الدورة المخيفة ظناً منه بانها رجل يطارده في ذلك الليل العاصف.

ولم يحصل على نتيجة بعد ان هربت منه تلك (الكسوبه) بعيداً.. وحين جاء الى مقهى (عنيزي) وهو المقهى الوحيد في تلك القرية راح يتحدث عن بطولته وكيف واجه اللصوص بين القبور وطاردهم بعيداً عن مداخل القرية في ليل عاصف رهيب.. استمع له جلاس المقهى وهم يتضاحكون من قصة هذا الرجل الغريبة.. وعبود يشعر بالزهو مصدقاً نفسه بما يذكر من غرائب.. تلك هي حالته كل يوم تقريباً.

وعبود هو قصاب القرية المحبوب حيث يدور وطبق اللحم على رأسه موزعاً الحصص على العوائل التي يعرفها بيتاً بيتاً.. ربع كيلو لبيت فلان.. نصف كيلو لام فلان واحياناً يفرض اللحم على ربات البيوت اذا زاد عنده شيء منه ودون خجل.. فهو لا يتسلم ثمن اللحم من العوائل الا حين تمكنها من ذلك وهكذا تجده محبوباً من قبل الجميع.

يجلس عبود عند دكة مقهى عنيزي الطينية بعد جولة الضحى على البيوت ويبدأ بالحديث مع عنيزي عن الذي جرى بين الناس ليلة امس وهل هناك من سرقة او سطو على دار او بستان فاكهة وهل جاءت الشرطة تسأل عن السارق وهل ذكر اسمه بين الناس قائلاً لازمته المعهودة لعنيزي والذي مل من سؤاله هذا: (خوما أحد جابني بالطاري؟) أي هل ذكرتني الشرطة بين اسماء المطلوبين باعتبار اللصوصية شجاعة انذاك.. ايامها كان السارق يعتبر بطلاً في نظر العديد من الناس البسطاء من اهالي تلك القرية.. ويقال عن اللص (سبع.. زلمة ليل..!) أي لا يهاب الظلمة ولا.. الحراس.. وكان عبود يود ان يوصف بهذا الوصف.. ملّ منه عنيزي ومن ترداد سؤاله وفي يوم ما سرقت البقرة الصفرة من (آل مهيدي) وحين جاءت الشرطة الخيالة بحثاً عن اللص لم يعثروا على شيء وغادروا المقهى.. بعد ان شربوا الشاي ولم يدفعوا ثمنه جاء عبود الويس وكالعادة يسأل صاحب المقهى المهموم من عدم دفع ثمن الشاي من قبل (الباش) وشرطته.. (ها ابو خليل خوما احد جابني بالطاري؟) ينتفض عنيزي غاضباً بسطل الماء الفارغ ويضرب عبود على رأسه بقوة قائلاً: موعجزنه من طاريك.. مو كافي..!) يقفز عبود الويس ويسحب خنجره وينهال على عنيزي بضربة قوية على معدته.. ويمزق ثوبه المنتفخ عن حزامه.. يعتقد عبود بانه قد مزق امعاء عنيزي فيهرب وسط دروب القرية صائحاً.. كتلت عنيزي.. دايعت مصارينه الحكوه..! عاد عنيزي الى دكته ضاحكاً وهو يرى عبود يركض وخنجره في يده.. والنسوة والاطفال يضحكون من هذا الموقف.

راح اهالي القرية يتندرون بذكر هذه الحادثة على مر السنين الخمسين التي اعقبت تلك الحادثة.. وهم يقولون بضحك (سالفتك سالفة خنجر عبود ابو كسوبه).

في هاييتي : الرسم الفطري في خدمة التاريخ والأساطير الشعبية

يوتا ستيبخ
ترجمة : المدى

في نهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي بعث متحف (بروكلين) في نيويورك بـ ١٦٠ لوحة ومنحوتة من هاييتي الى ألمانيا لتعرض في صالة الفن في برلين كمشاركة في احتفالية كبرى لفنون العالم. وقد أبرزت اللوحات أروع ما أبدعه الفنان الهاييتي. هذا الفن له أوجه متعددة ويخفي الكثير من الرموز، فهو حيوي وحديث.

معظم الفنانين الهاييتيين أميون أو شبه أميين فقراء يسكنون أكواخ الطين. ويشكل كهنة معابد الفودو شطراً كبيراً منهم. لعل أبرزهم وأكثرهم شهرة (هكتور هيبولايت) الذي دأب منذ صباه على تزيين المعابد بلوحات ملونة زاهية، ورسم ما يربو على ستمائة لوحة ومات سنة ١٩٤٨ عن عمر ناهز الرابعة والخمسين.

الفنانون الهاييتيون سردوا من خلال فنهم حكايات عن الشعب، وأوجدوا علامات اختصار لقصص عابرة مضحكة أو حزينة من الحياة اليومية للناس ولحوادث جريئة أو مؤسفة من التاريخ وخصوصاً عن الآلهة ومغامراتها مع الشياطين والجبابرة. لقد وجدت هذه الصور منعشة ليس أكثر، فالآلهة والشياطين تذكر في أساطير الماضي. بأقات الورد ومشاهد السوق والكارنفال بدت لي مثل عرض لحياة صافية خالية. إن التعرف على معنى هذا الفن، على هذه الرموز الخفية، على هذا النقد الإجتماعي المستتر يحتاج الى مزيد من الوقت ؛ قوة الإنفعال ودارس صبور.

(أندريه بيير) كاهن من كهنة (الفودو) ورسام موهوب. كان ولايزال مقتنعاً . رغم وجود الكنيسة الكاثوليكية . بأن العقيدة الراسخة والثقة المطلقة التي يوليها الهاييتيون للآلهة الأفريقية هي التي تمنحهم القوة لمواصلة البقاء : " إن مأساة الماضي صارت قوة هذا الشعب " . وتحدث عن كريستوفر كولومبس الذي استقبلته قبيلة الأراواك الهندية حال رسو سفنه على شواطئ الجزيرة سنة ١٤٩٢ بالهدايا الثمينة، بأوانٍ من الذهب الخالص. غير أن جشع الإسبان دفعهم الى تسخير سكان الجزيرة الى العمل في مناجم الذهب مجاناً، واستغلوهم استغلالاً لا رحمة فيه. وكانت نهاية الهنود الحمر، بداية الرق في هاييتي : ففي سنة ١٥٠٣ رست أول سفينة تحمل الرقيق الإفريقي على سواحل الجزيرة، جيء بهم من تلك البلاد القصية ليعملوا بالسخرة.

كانوا في البدء تحت سطوة الاستعمار الأسباني، ثم أعقبه الاستعمار الفرنسي لمدة ثلاثة قرون عانى فيها مواطنو الجزيرة من المهانة والازدراء والإذلال والإذعان لأعمال السخرة والعذاب المقيم. حتى ثار المظلومون الذين خطفوا من أماكن مختلفة من أفريقيا وجيء بهم الى هاييتي. فابتكروا لأنفسهم لغة موحدة. هي الـ (كرول) Creole ودِيناً موحداً هو (الفودو) Voodoo . واهتموا بجمع السلاح. وبعد ثلاث عشرة سنة من النضال صارت هاييتي سنة ١٨٠٤ أول دولة للسود تنال حريتها في العالم. وكان المحرض على العصيان . وهو ما يتعلمه الطفل الهاييتي حتى الآن . ليس الإنسان، وإنما آلهة الحرب. ففي غابة التماسيح وفي إحد الطقوس الاحتفالية لديانة (الفودو) مصحوبة برعد وبرق نودي للثورة.

رسامون تأريخيون آخرون رسموا أبطال النضال من أجل الاستقلال وولادة الوطن وملوك هاييتي السود في القرن التاسع عشر وأبهتهم في بلاطاتهم ونهاياتهم الشائنة. إنهم يرسمون بوعي ما هو مسطر في كتب تاريخهم فيفهمها أربعة من مجموع خمسة ملايين مواطن لا يجيدون القراءة والكتابة.

رسامو التاريخ الهاييتيون هم حماة الماضي –مثل كهنة الفودو الذين يحافظون على الإرث الأفريقي. سلطتهم في المجتمع ونفوذهم معترف به في الأوساط السياسية منذ وقت مبكر . وحورب في بعض الأحيان واستغل أيضا استغلالاً سيئاً . حتى (بابا دوك) دوفالير الطاغية المستبد الذي توفي سنة ١٩٧١ استعان بديانة الفودو لتثبيت دعائم حكمه. يقول (اندريه بيير) ؛ إ ن كل ما أرسمه يعد شكلاً من أشكال العبادة. فما أكاد أفرغ من إتمام لوحة إلاّ وأضعها عند المذبح في المعبد. والآلهة هي التي تقرر ما إذا كانت اللوحة جيدة أم رديئة. فإذا كانت اللوحة رديئة قلبتها أو إن مشروب الروم يصبح غير مستساغ. أما إذا لم يتغير شيء على المذبح فهذا يعني أن الآلهة راضية. وأن روحها ستحل في اللوحة وإن قواها السحرية ستؤثر مستقبلاً بمن يمتلكها أو من يراها، حتى وإن كان يدين بعقيدة أخرى. لذلك يعمل (أندريه بيير) بشغف تبشيري. وهو يرسم ليربح : ففي سوق الفن ارتفعت أسعار لوحاته ارتفاعاً يثير الاهتمام. واليوم يتراوح سعر اللوحة التي يرسمها (اندريه بيير) من عشرة آلاف الى عشرين ألف دولار.

في سنة ١٩٤٧ لم يحصل الرسام في هاييتي ثمناً للوحة الواحدة إلا على سعر يتراوح من عشرة إلى عشرين دولاراً فقط. ومتوسط دخله السنوي يقل عن مائة وأربعين دولاراً.

النجاح والمال ربما يقتلان الفن. وهذا ما حصل لهكتور هيبولايت. فعندما ازداد دخل كاهن الفودو وارتفع مستوى معيشته ترك كوخ الطين وانتقل إلى أحد الأحياء الحديثة في العاصمة. إلا أن خياله قد نضب هنا، فلم يستطع أن يواصل الرسم حتى عاد ثانية الى كوخه القديم.

خلافاً لهيبولايت يتمتع اندريه بيير بالنجاح الذي تحرزه لوحاته في سوق الفن. وإن كان لا يحصل إلا على اليسير مما يحققه التجار والمضاربون. وعندما سألته عن هذا الخلط بين الفن والعبادة والتجارة، أجاب بانفعال و اندهاش : " المال بالنسبة لي أمر حسن. فبالمال استطيع أن ابني معابد للآلهة. وبالمال استطيع أن اشتري أرضاً زراعية وأوزع ريعها على الفقراء ".

في هاييتي يضطلع فن الرسم بمهمة ما كان ليضطلع بها لولا أنه نشأ وتطور في مجتمع أميّ متخلف يؤمن بالخرافات والأساطير ويدين بديانة بدائية. فكان الوسيلة الوحيدة لأبنائه في أن يقرأوا تاريخهم ويفهموا دينهم وكان الوسيلة التحريضية الوحيدة لحمل السلاح والنضال من أجل الإستقلال.